الفلسَفة مفهوماً

الحسين بشوظ

2017-03-30

بسم الله نفتتح سلسلة "الفلسفة؛ تاريخُها ومباحِثُها"، وهي سلسلةٌ تسعى مِن ورائِها منظمة المجتمع العلمي العربي إلى تحقيقِ مجموعة من الأهداف من بينِها؛ إقامة نوعٍ من التوازن والتكامُل بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية مع التعريف بهذه الأخيرة، بما يضمنُ توسيع محيط الحقول والشُعب والتخصصات والمَباحِث العلمية التي تستهدف منظمة المجتمع العلمي العربي التعريفَ بها وتقريبَها إلى القارئ العربي والناطق بالعربيةوقد جاء اختيارُ موضوع الفلسفة بالضبط لاعتباريْن اثنيْن أولُهُما؛ اقتحام هذا المبحث العظيم الذي يُعدُّ أمَّ العلوم، والتعريفَ به وتيسير الاستفادة منه. وثانِيهِما؛ إزالة الحُجُب والموانع والعوائِقِ التي تكلّستْ حول مَبْحثِ الفلسفة وموضوعاتِها وغاياتِها، ودَحْضِ كثيرٍ من الخرافات والضلالات والبُهتان والمزاعِم الخاطئة التي رُميتْ بها الفلسفة ظُلما وجَوْراً، وترسّختْ في وَعْي كثيرٍ من الناس، وتقديمِ هذا المبحث العِلمي والمعرفيّ الجليل والعظيم إلى قُرَّاءِ المنظمة سواءً منهم المتخصصين أو غير المتخصِّصين بأسلوبٍ علميٍّ، منهجيٍّ مُبسطٍ، واضحٍ ومفهوم.

وسنحاول بعون الله تعالى وتوفيقِه المرورَ على كل ما هو مفيدٍ ومساعدٍ على استيعاب وفهم الفلسفة ومحطاتِها التاريخية ومباحِثها وأعلامِها، وسنعتمد في هذه السلسلة منهجيةً تاريخيةً تراعي التسلسل الزمني، كما سنعتمد منهجية الأنساق في توزيع مباحث الفلسفة وإبراز ترابطاتها وتفرعاتِها المختلفة بشكل نسقيٍّ مُنظم، انتهاءً بحول الله تعالى إلى تمكين القارئ المتابِعِ لهذه السلسلة مِن الإلمام الشافي والوافي بالفلسفة وتاريخِها ورُوَّادِها ومباحِها وموضوعاتِها ومبادئها العامة.

{وما توْفيقي إلاَّ بالله}.

المنهجية المعتمدة في هذه السلسلة.

سنتَّبِعُ في هذه السلسلة بحول الله تعالى منهجيةً بسيطة جدا، تتمثل في استقراءٍ تسلسليٍّ لتاريخ الفلسفة وتطوُّرِ مباحِثِها ومفاهيمِها الإجرائية وأهَمِّ روادِها، والأثر التجديدي الذي أدخلوه في الفلسفة.

وسنتطرق إلى العصور الفلسفية المعروفة والمشهورة وهي:

- الفلسفة القديمة – الكلاسيكية.
- فلسفة العصور الوسطى
- الفلسفة الإسلامية
- الفلسفة الحديثة
- الفلسفة المعاصرة

أما فيما يخص التعريف بأعلام الفلسفة؛ فسنعتمد طريقة منهجية وعَمَلية حيث سنقوم بالتعريف فقط بالفلاسفة الذين سنتناولُهم في كلِّ مقال على حدىً. حتى يظلَّ تركيزُ القارئ مرتبطا بالموضوع وفلاسفتِه. كما سنقترح من حين لأخر بعض المراجع المُعينة والمُيَسرَّة في فهم مَباحث الفلسفة. وسنختتم كلَّ مقالٍ بقولة فلسفية مُختارة لأحد الفلاسفة الذين سنتطرق إليهم على مدى السلسلة.

الفلسفةُ مفهوماً: لا شك أن كثيرا منكم حاولَ البحث عن تعريفٍ لمفهوم الفلسفة، ولا شك أيضا أن كثيراً منكم تاهَ وسط التعريفات الكثيرة والمتنوعة والفلسفية لهذا المفهوم. إن كلَّ ما تم تداولُه من تعاريف حول مفهوم الفلسفة ماهي إلا تعاريفُ تقريبية، بعضها مأخوذ من الترجمة العربية للفظة (philosophie)، وبعضها مُستنتَجٌ من المواضيع التي تعالجُها الفلسفة. والتعريف الأكثر شيوعاً ودُيُوعا؛ هو ذاك القائل: "إن الفلسفةَ هي حُبُّ الحكمة"، والفيلسوف؛ هو "المُحِبُّ للحكمة أو الباحثُ عنها". ويتفادى بعض الفلاسفة وصف أنفسِهم بالحكماءِ كونَ الله هو الحكيم، وأنَّ مُنتهى جُهدِهم وهِمَّتِهم أنْ يسعَوْا في طلب الحكمة، وبالتالي فهم في بحث دائمٍ ومُستمر عنها، وإنَّ امتلاكَ (الحكمة) هو نهاية هذا البحث، وهذا لا يتأتى في هذا العالم اللاَّ مثالي. عكس بعض الحُكماء أو الخُطباء (على وجه التحديد) الذين ادعواْ امتلاكَ الحكمة؛ وهم الطائفة المشهورة باسم "السوفسطائيون". أي (مُلاكُ الحِكمة / أربابُ الحِكمة / الحُكماء/ مُعَلِّمُواْ الحِكمة..)، لذلك جاء التعريف مُؤكِّداً على حُب الحِكمة والسَّعي وراءَها؛ وليس امتلاكَها.

الفلسفة أم العلوم، إنها مرحلة القَطْع مع التفسير الخرافي والأسطوري والعجائبي للظواهر الطبيعية، إنها بداية التفكير العقلي والتفسير المنطقي للأحداث والوقائع والكون والوجود. أتتْ الفلسفة كمرحلة من النُّضج العقلي للإنسان، وحَلَّتْ مَحَلَّ الخوف الذي كان المصدر الأول والأساسي للتفسير والخرافة التي فسّرتْ كثيرا من الظواهر الطبيعية تفسيراتٍ خُرافيةٍ كَرَّسَتْ الخوْف، وأنتجتْ معه حالةً من الحذر والعبودية والقسوة والشر. عندها؛ كان لزاما على هذا العقل البشري أن يتحرك إزاء هذا الوضع، فكانت الفلسفة الدواءَ والترياقَ الذي انتصر به العقل على الخوف، وفتحتِ الفلسفة الباب واسِعا أمامَهُ

مُمَهدةً له الطريقَ نحو الحِكمة؛ أي المعرفة العلمية. (التفسير العقلي المنطقي للظواهر المختلفة).

لقد تطور مفهوم الفلسفة كثيرا وصار يُقصد به كل الأسئلة والأفكار والاستنتاجات والتفسيرات العقلية التي تناقش الموجودات وتهدف إلى الوصول إلى أسباب وعلل وجودِها. والفلسفة حسب أرسطو هي: "العلم النظري بالمبادئ والأسباب الأولى للوجود والموجودات، والفلسفة أُمٌّ العلوم التي تتفرَّعُ منها كلُّ العلوم الأخرى. والفلسفة أيضا هي: "عِلم الموجودات بِما هو موجود" بمعنى؛ العِلم الذي به نَتوصَّل إلى معرفة الأسباب والعِلل الأولى للموجودات.

ويعرّف ابن رشد الفلسفة تعريفا سهلا وجميلا فيقول فيما معناه: "إن الفلسفة هي التَّظَرُ في الموجودات وفهْمِ خصائصِها ومعرفة أحوالِها للدلالة على صانِعِها (خالِقِها / واجِدِها). لأن معرفة الصَّنعة هي الطريق لمعرفةِ الصانع". اختلف المؤرخون في تحديد المُبدع والمُبتَكر الأول للفظة "فلسفة"، فبعضُ المؤرخين يقولون إنه "فيثاغورس"، وبعضُهُم الآخر يقول إنه "سُقراط". أما الثابت؛ فهو استعمالُها من طرف "أفلاطون" للتمييز بين الفلاسفة والسوفسطائيِّين الذين كانوا يُعلّمون الخَطَابة وفنونَ الحجاج والجِدال لأبناء النبلاء مُقابلَ أجرٍ ماديٍّ معلوم. ومِن أشهرِ هؤلاء نجد "بروتاغوراس"؛ وهو زعيم الفِكر السوفسطائي. إضافة إلى جورجياس وبروديسكوس.

تعريفات الفلسفة

- يُعَرِّفُ أرسطو الفلسفةَ أنها العقل، أي (المعرفة).
- الفلسفة: ميزانٌ لتحليلِ وقياسِ الواقع.
- الفلسفة: أسلوبُ تفكيرٍ مُخالفٍ للنمطيَّة والطبَّع والعادة.
- الفلسفة: مُساءَلة كلِّ الأشياءِ سواءً أكانت موجودات (حسية) أو مُدركات عقلية (مجرّدة).
- الفلسفة: تأملٌ في الخَـلْـق للوصول إلى معرفة الخالِق.
- الفلسفة: المعرفة الشاملة والواسعة والعميقة والدقيقة للأمور.
- الفلسفة: إعادة ترتيبِ المفاهيم والمعلومات والمعارِف وِفْقَ منطقٍ عقليٍّ وليس وفق العادة أو المَوْروثْ أو الخرافة.
- الفلسفة: هي التربية.
- الفلسفة: هي الأخلاق والحرية والعدل والمساواة
- الفلسفة: الوسيلة التي يدرِك بها الإنسان إنسانيَّـتَه.
- الفلسفة: الشك المُفضي إلى اليقين (البرهان بالخُلف).
- الفلسفة: نشاطٌ فكري محيط بالإنسان ومحيطِه.
- الفلسفة: هي الطريقة / نقول: فلسفتُكَ في الحياة؛ أي طريقتُك في الحياة.

- الفلسفة: طريقٌ نحو الفضيلة.
- الفلسفة: هي الرؤية / نقول فلسفتُك حول الحياة؛ أي نظرتُك للحياة.
- الفلسفة: تَعَوُّدٌ على طرحِ الأسئلة دائما وباستمرار.
- الفلسفة: إقامة نوع من الصلة والتوافق المنطقي السليم بين العقل والدين.
- الإنسان كائنٌ مُتفلسف؛ أي مُتَسائلٌ بِشدة.
- الفلسفة: المُساءَلة الدائمة للكون والحياة والوجود.
- الفلسفة: دراسة المبادئ الأولى للموجودات وتفسيرِ المعرفةِ تفسيرا عقليا (علميا).
- الإنسانُ الفيلسوف: هو الإنسانُ الحكيم.
- الأنسانُ فيلسوف بطبعِه وفطرتِه، وتتجلى فلسفتُه عندما يكون طفلا حيث تُسيطر عليه الدهشة حول كل شيء.
- الأطفال فلاسفةٌ بالفطرة، لأنهم كائناتٌ كثيرةُ التساؤُل والاستفسار والبحث والتحقّق والاكتشاف.
- الفلسفة: هي الرغبة في المعرفة.

مَقاصد الفلسفة: تسعى الفلسفة إلى البحث عن الطريقة المثلى والصحيحة والمتوازنة للعيش، عن طريق إدراك حقيقة الموجودات، من خلال علوم المنطق وعلوم الطبيعيات وعلوم الميتافيزيقا (الإلهيات)، وانشاء مجتمع إنساني فاضل يقوم على المساواة والحرية والعدل والحق.

- تحقيق نوع من الانسجام بين المادة (الجسد) والروح (العقل).
- تطهير النَّفْس والوصول للحكمة.
- الوصول إلى معرفة الموجودات ومعرفة الغايةِ من وجودِها.
- تكريم العقل والرفع من شأن الفكر
- الوعي بالعالَم وبالموجودات.
- تقدير قيمة الإنسان والرفع من مستواه الأخلاقي.
- الرقي بالسلوك الإنساني من المستوى الحيواني إلى مستوى التكريم.
- تحمل الإنسان مسؤوليته الوجودية في هذا الكون.
- سيادة الإنسان على باقي المخلوقات بالعلم والعقل والأخلاق والفضيلة.
- فهم العالَم واستيعاب نظامِه واستثمارُه في الخير.
- الفلسفة نقيض الخرافة.
- التبصر، الفهم، الوعي، النُّضْج العقلي والفكري.
- مُخالفة الطبع والتميز بالعقل.
- معرفة الحقيقة / الوصول إلى الحقيقة.

في القرآن الكريم آياتٌ كثيرة تدعوا إلى إعمال العقل في الكون والتَّفَكر في عظمة الخَلْق والخالق؛ يقول عز وجل {يُؤتي الحكمةَ من يشاء، ومَن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً}.

والدعوة إلى السعي في طلب الحكمة، يقول الله تعالى {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخَلْق}، وإقامة مجتمع العلم والعدل والحق والحرية.

بعض الأسئلة البسيطة التي تطرحُها الفلسفة

- كيف نفكر ؟
- ما الحقيقة ؟
- ما الحكمة ؟
- ما الأخلاق
- ما هو الصحيح وما هو الخطأ ؟
- كيف نعرف ما نعرف ؟
- كيف ندرك الموجودات ؟
- ما الحق ؟
- ما القوة ؟
- ما العقل ؟
- ما السعادة ؟
- ما الجمال ؟
- ما الفن؟

أهمية الفلسفة

- تحفيز ملَكة العقل وتنمية القدرات الإدراكية.
- تنظيم منطق التفكير والتساؤل.
- القدرة الجبارة على الإبداع والتعبير الدقيق والسليم وتنظيم الأفكار.
- اليقظة الفكرية والمنطقية.
- إحلال العلم والحكمة مكان الخرافة والشعوذة.
- امتلاك القدرة على التحليل والتفسير والاستنتاج والبرهنة والاستدلال.
- امتلاك موهبة الخطابة والحجاج والجدال والمناظرة.
- الوعي بالذات والآخر والمحيط.
- تربية الأفراد وتحقيق الحياة الاجتماعية المثالية.
- إقرار الحقوق والالتزام بالواجبات.
- تخليق الحياة العامة وإقامة مجتمع مبني على التربية.

- تمتين الفاعلية الإيجابية القصوى بين الأسرة والمدرسة والمجتمع لإنشاء مجتمع صالح.
- تكريم الإنسان ورفع قيمتِه ورفعِه من دونية المادة إلى رِفعة الروح.
- تحقيق إنسانية الإنسان.
- الإيمان بقيم الحق والعدل والحرية والدفاع عنها.
- احترام الأخر وتقبل أفكارِه وقناعاتِه.
- تغليب الحوار والحجة والبرهان على العنف والإكراه.

التعريف بالأعلام الواردة في المقال.

1. أفلاطـون: أفلاطون (427 ق.م - 347 ق.م) فيلسوف وحكيم يوناني، وأحد أشهر الأعلام المؤسِّسين للفلسفة الغربية القديمة على الإطلاق, في حين يعتبره كثيرون المؤسِّس الحقيقي للفلسفة الغربية. له مؤلفاتٌ عديدة في كل المباحث تقريبا حيث كتب في الشعر والفلسفة والفن والخطابة والمسرح ... وتميّزت كتاباته بأسلوب الحوار الممزوج بالسخرية والحكمة. لُقّب بأفلاطون بسبب ضخامة جسمِه. ينحدر من أسرة أرستوقراطية مما أتاح له التعلم على يد السوفسطائيين، وعندما بلغ العشرين من عمرِه التحقَ بسقراط وأصبح تلميذَه النجيب.
لم يتأثر أفلاطون بشيء مثلما تأثر بحادثة إعدام معلمِه سقراط، مما أثار سخطَه ونِقمتَه على نظام الحكم الفاسد الذي أعدَم شخصا كان من المفروضِ رفعُهُ إلى رأسِ السلطة. عندها قرر أنه لابد أن تكون الفلسفة هي الدستور المنظم للسياسة والحُكم وليس العكس. فهاجر إلى صقلية لإقناع حاكِمها بجعل الفلسفة هي دستور الحكم وأن هذا الإجراء سيجعل من مدينتِه مدينة فاضلة، لكن لم يفلح فاضطر للعودة إلى أثينا وأسس مدرسَته الخاصة والمعروفة باسم "أكاديمية أفلاطون"، حيث قضى بقية حياتِه وسط طلابِه وتلامذَتِه ونظرياتِه الفلسفية.

2. فيثاغـورس: فيلسوف وعالِم رياضيات يوناني (495 ق.م - 570 ق.م)، ظهرَ نبوغُهُ وهو صغيرُ السن، برعَ في الحساب وافتُتِن بالأرقام حتى قال "إن كلَّ شيء أرقام"، كما كان له نصيب وافر من الإلمام بعِلم الهندسة إلى جانب موسوعيتِه في عِلم الفلك والموسيقى، وهو صاحب مبرهنة فيثاغورس الشهيرة في الرياضيات، وإليه يُنسب جدول الضرب، أسَّسَ فيتاغورس مدرستَه والتحق بها حشدٌ كبير من الشباب، وكانت تعاليمُه أقربَ إلى التَّصوف والزهد مع كثيرٍ من التحليل العقلي والسياسة.

3. سُقـراط: فيلسوفٌ وحكيمٌ يوناني، (469 ق.م - 399 ق.م)، يَنتسب إلى الفلاسفة الكلاسيكيين المؤسِّسينَ للفلسفة (الغربية)، لم يتم العثور

على أي مؤلف باسمِه أو مخطوط بخط يده، وكلٌّ ما حُفظ ونُقل عنه كان عن طريق تلامذته، وتعتبر "حوارات أفلاطون" المرجع الأساسي حول شخصية وحياة سقراط. أسهم سقراط بشكل كبير في عِلم الأخلاق وعِلم التربية، وله منهجٌ معروفٌ في فلسفة الأخلاق. كما لا تُنكَرُ إسهاماتُه العظيمة في عِلم المعرفة وعلم المنطق. ولعل أكثر ما اشتهر به سقراط هو محاكمتُه المشهورة من طرف أعدائه الذين اتهموه ظُلما وزُرا بتخريب عقول الشباب بفلسفتِه وتحريضِهِم على التمرد. فحُكِم عليه بالإعدام بالسم، هذا الحُكم لم يعترض عليه سقراط وقبِله بكل شجاعة وجرأة، وتجرَّع السُّم في حضور تلاميذه وعلى رأسهم أرسطو.

بعض المراجع المُيَسَّرة والمُعينة على فهم الفلسفة

- عالم صوفي (رواية حول تاريخ الفلسفة)، جوستاين غاردر.
- قصة الفلسفة، ويل ديورانت، ترجمة أحمد الشيباني.
- مدخل إلى الفلسفة، مجاهد عبد المنعم.

=src

بريد الكاتب الالكتروني: bachoud.houssaine@gmail.com